بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

نحن والسيرة

مرّت علينا ذكرىٰ المولد النبويّ الشريف فحفّزت أذهاننا الىٰ استعراض سيرة رسول الله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وحياته الكريمة الحافلة بأحداث الهدم والبناء، فوجدنا فيها الطاقة المحرّكة العظمىٰ الّتي كانت وراء كلّ ما سجّله التأريخ الإسلاميّ من صفحاتٍ بيضاء . . كانت وراءِ كلّ ثورةٍ على الظلم والفساد، ووراء كلّ حركةٍ تدعو الى العدل والمساواة، وخلف كلّ روحٍ وثّابة لطلب العلم، أو تيارٍ إصلاحيٍّ يدعو لتطهير النفس والسير الى الله. إنّها تشكّل ـ باعتبارها التجسيد العمليّ للقرآن ـ الزخم الّذي دفع مسيرة الحضارة الإسلامية نحو كلّ ما تجلّىٰ فيها من قيمٍ إنسانيّةٍ سامية.

والصحوة الّتي يشهدها عالمنا الإسلاميّ اليوم هي قبس ذلك النور النبويّ، فروّادها ينهجون سيرة المصطفىٰ في السعي لبناء أُمّةٍ عزيزةٍ كريمةٍ تنهض بدورٍ رائدٍ علىٰ ساحة التأريخ، وتحكّم شرع الله في كلّ شؤون حياتها لا تأخذها في الله لومة لائمٍ، وتأخذ بأسباب القوّة الاقتصاديّة والعلميّة والعسكريّة كي تكون مرهوبة

الجانب، وتوحّد صفوفها وتعبّىء طاقاتها كي لا تفشل في مواجهة التحدّيات ولا تذهب ريحها.

ولكن ـ ونحن نقف أمام هذه السيرة موقف إجلالٍ واعجابٍ ـ يجب أن لا يفوتنا ما ران علىٰ السيرة من سلبيّات الماضي . . هذه السلبيّات الّتي تراكمت فجعلت من نظرة بعضنا الىٰ الإسلام فجّةً ضيّقةً لا حركة فيها ولا حياة. وهذه النظرة الضيّقة ـ إضافةً الىٰ ما تفعله في مسخ السيرة ـ تعمل علىٰ إثارة الفرقة والنزاع بين المسلمين.

ولو تطلّعنا الىٰ ما حولنا لرأينا هناك من يستفتي السيرة في حركة الإصبع عند الصلاة، ذاك يقول: إنّها دائرية، ويرىٰ آخر أنّها عموديّة، ويقع بين أتباع الرأيين نزاع تُنتهك فيه الحرمات، وتتقطّع وشائج الأُخوّة والصِلات.

ورأينا من يستفتي السيرة في بناء القبور، ومقدار ارتفاعها، ويقع الخلاف بشأنها الىٰ حدّ التكفير..

وإن تعجب فعجب هذا الّذي تراه في صفحات الفتاوىٰ وأعمدتها؛ معظمها يحاول أن يجد في السيرة أجوبةً ترتبط بزيارة قبور الموتىٰ والمسائل الفرعيّة في الصوم والصلاة، والموضوعات الهامشيّة في الإرث والزواج والطلاق.

إنّ علماء المسلمين يتحمّلون اليوم مسؤوليّة استطلاع السيرة في جوانبها الحياتيّة..في حقل الدعوة وأساليبها ومراحلها..في مجال بناء المجتمع الصالح والدولة الصالحة..في طريقة التعامل مع المستجدّات العالميّة ومع الأُمم الأجنبيّة.

عليهم أن يستفتوا السيرة في أُسلوب تصعيد روح الجهاد لدىٰ الأُمّة، وإعداد المجاهدين، والدفاع عن المستضعفين والمحرومين، ودكّ حصون الظالمين والمستكبرين.

علينا أن نقرأ ما في السيرة من مواقف توجب علىٰ كلّ مسلمٍ وجوباً عينيّاً أن يعمل لوحدة الصفّ، وتأليف القلوب، ونبذ الفرقة ووحدة الكلمة.

لا بدّ أن يتطرّق إعلامنا الإسلاميّ الى ما وكّدته السيرة بشأن كرامة الإنسان، وعزّة المسلم، وقوّة المجتمع الإسلاميّ ومنعته، ودوره الشاهد على ساحة التأريخ.

أليس في السيرة ما يتبيّن لنا رأي الإسلام في المجال الاجتماعيّ والاقتصاديّ

والسياسيّ ويرسم لنا الموقف المبدئيّ في كلّ المجالات الحياتيّة؟!

حياة رسول الله ـ صلّىٰ ٱلله عليه وآله ـ بدأت من بناء الفرد،وانتهت بإقامة مجتمعٍ إسلاميٍّ يحمل مسؤوليّات:بسط العدل، ونشر التحرّر، وحمل العلم، وتبديد الظلام في كلّ أرجاء العالم .إنّها مسيرة متكاملة الدروس في جميع مرافق الحياة..فلماذا نستفتيها فقط في الجوانب الهامشيّة الّتي لا تمسّ صميم الحياة؟

السبب يعود الى الوضع المؤلم الّذي يعيشه عالمنا الإسلاميّ..«فالإناء ينضح بما فيه». والإسلام في جميع أصقاعنا الإسلاميّة يعيش بمعزلٍ عن الحياة، ومن علماء الإسلام من قُدّر لهم أن لا يعالجوا أمراً من الأُمور الّتي ترتبط بمقدّرات المسلمين، بل عليهم أن يكونوا هامشيّين ويعالجون المسائل الهامشيّة. ولذلك يتناولون السيرة في إطار ما أُوكلت اليهم من مسؤوليّة.

وهذا التعامل مع السيرة يثير ـ دون شكٍّ ـ الاختلاف والفرقة، ويثير الإحَنَ والحزازات؛ لأنّه إطار ضيّق صغير تكبر فيه الخلافات وتأخذ حجماً هائلاً، حتّىٰ يُخيّل لهؤلاء الصغار أنّ هذه الخلافات تشكّل حدّاً فاصلاً بين الإسلام والكفر، فيتراشقون الفتاوىٰ بالكفر والشرك وإهدار الدم..كما قال الشاعر المتنبّي:

وتكبرُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائِمُ

إنّ نظرة هؤلاء الى السيرة ـ غالباً ـ نظرة إنسانٍ صغيرٍ ضيّق الأُفق، فإذا وجد حركة إصبع مسلمٍ آخر في الصلاة خلافاً لما عرفه في السيرة كبرت المسألة في ذهنه، وتحوّلت الىٰ حاجزٍ نفسيٍّ يفصل بينه وبين ذلك الأخ المسلم. وإن رأىٰ مسلماً يزور القبور خلافاً لما سمعه أو قرأه في السيرة تصوّر أنّ بينه وبين ذلك المسلم بُعد المسافة بين الإسلام والشرك.

هذه هي النظرة الصغيرة للسيرة. إنّها ـ دون شكٍّ ـ نظرة ناقصة مشوّهة،تجرّ الىٰ تمزيق المسلمين وتشتيتهم،وإماتة الروح والحياة في نفوسهم.

والمطلوب: هو الانفتاح علىٰ السيرة الكريمة بمعناها الواسع الحركيّ العمليّ،

عندئذٍ ستلتقي وجهات النظر، وتتوحّد الأصوات والخطىٰ كما التقت من قبل أصوات وخطىٰ رجالٍ كبارٍ في عالمنا الإسلاميّ المعاصر من مختلف المذاهب الإسلاميّة، وكما تلتقي اليوم هذه الأصوات والخطىٰ في إطار الصحوة الإسلامية المباركة.

فلنحوّل احتفالات المولد النبويّ الشريف الىٰ مؤتمراتٍ تتناول السيرة روحاً وفكراً وعملاً في إطارها المتحرّك الواسع.. لنتعلّم منها كيف نهدم العوامل السلبيّة، وكيف نبني وجودنا كما أراده الله تعالىٰ، وكيف نتحرّك نحو هدفنا التكامليّ. فلنا في سيرته عليه أفضل الصلاة والسلام أُسوة حسنة

رئيس التحرير

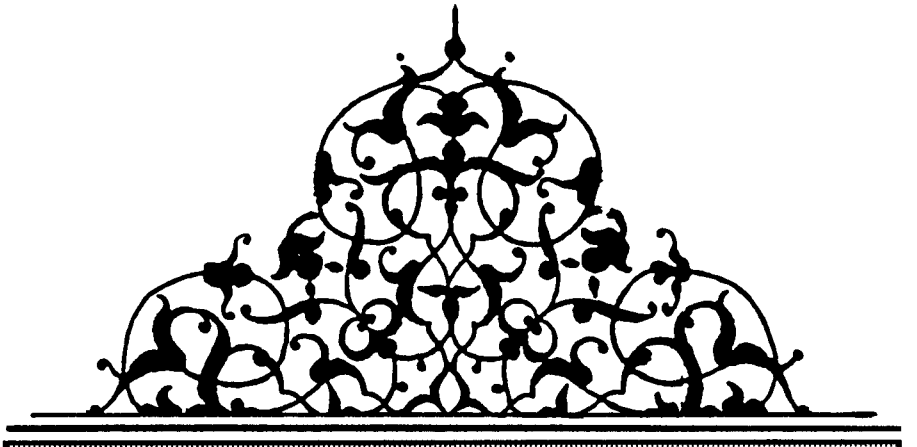

قال تعالىٰ: ﴿ محمّدٌ رسولُ اللهِ والّذينَ معه أشدّاءُ علىٰ الكفّارِ رحماءُ بينَهم ﴾.

الفتح: ٢٩